الأستاذة: بن سويكي

مادة: قضايا نقدية

المستوى: الثّانية ماستر أدب حديث ومعاصر

المحاضرة رقم:12: التّناص.

تمهيد:

تكمن أهميّة مصطلح/نظريّة التّناص في كونه أخرج النّص الأدبيّ من سجنه المغلق الّذي فرضته عليه البنيويّة، وأتاح هذا الأخير لمناهج جديدة أن تظهر للوجود وهي مناهج ما بعد البنيويّة، الّتي تعترف- بطريقة مختلفة- أنّ للنصّ علائق خارج حدوده، أيّا كانت تلك العلائق (لغويّة-فكريّة-اجتماعيّة..)، الأمر الّذي جرّ "رولان بارت" إلى القول أنّ التّناصية قدر كلّ نصّ مهما كان جنسه، وردّد هذه المقولة النّقاد العرب؛ ف"محمّد مفتاح" يقول: "أنّ التّناص للكاتب بمثابة الهواء والماء والزّمان والمكان للإنسان فلا حياة له بدونهما ولا عيشة له خارجهما"، وعبّر "عبد الملك مرتاض" بطريقة أخرى حين أقرّ "أنّ التّناص للنصّ الإبداعيّ كالأوكسيجين الّذي يشمّ ولا يرى ولكن لا أحد ينكره".

1/موجز عن نشأة مصطلح التّناص:

نشأ المصطلح مع "باختين" وأطلق عليه الحواريّة(Dialogisme)،أو التعدّد الصّوتي، أو البوليفونيّة(Polyphonique)، ثمّ ظهر مع جوليا كريستيفا بمصطلح التّصحيفية(Parogrammatisme) والإيديولوجيم(Ideologemme)، وبعد ذلك جاء مصطلح التّناص(Intertextualite).

وجاء بعدهم "دومينيك مينغينو" وفرّق بين المصطلحين: التّناص(Intertexte)، والتّناصّية(Intertextualite)؛ فالتّناص مجموع المقاطع المذكورة ضمن متن معطى، أمّا التّناصية فهي نظام القواعد الضّمنية الّتي تضمّ ذلك التّناص.

أمّا عند النّقاد العرب، فقد لقيا هذين المصطلحين ترجمات عدّة تنمّ عن اضطراب واضح، وذاتيّة باديّة في التّرجمة ووضع المصطلح المقابل.

وقد جمع الدّكتور "يوسف وغليسي" في كتابه(إشكاليّة المصطلح) هذه التّرجمات على النّحو التّالي: .(Intertextualite, Intertexte) =(التّناص، التّناصيّة)، (المتناص، التّناص)، (المناص، التّناص)، (نص متداخل، تداخل النّصوص).

وبعض النّقاد لم يذكروا مقابلا للمصطلح الأوّل بل اكتفوا بترجمة المصطلح الثّاني(Intertextualite) ب: التّضمين، التّضمين النّصي، بين نصّ، التّناصية، تفاعل النّصوص، التّناسخ النصّي، بينصوصيّة.

وهذه المصطلحات هي لأكبر النّقاد المعاصرين وصنّاع المعاجم كعبد السّلام المسدّي والغذّامي وعبد الملك مرتاض، وجابر عصفور وغيرهم.

ونلاحظ مع الدّكتور "وغليسي" أنّ بعض المصطلحات الّتي ذكرت مرفوضة إمّا لأسباب دلاليّة وإمّا لأسباب مرفولوجيّة؛ فمصطلح (بين نصّ) ثقيل وعصّي على اللّسان، وأمّا (التّناصصيّة) ففيه خطأ لغويّ؛ والأصحّ منه التّناصية، أمّا مصطلح التّضمين فمستبعد لانحساره الدّلالي على البلاغة العربيّة، و(التّضمين النّصي) مصطلح ناقص يختصّ فقط بالنصّ، ولكن التّناص يستوعب النصّ وغيره، وأيضا أن نفرّق بين مصطلحين ب(ال) التّعريف، فلا مسوّغ لذلك مثل: تنّاص، التّناص.

2/إشكالية مصطلح التّناص عند "عبد الملك مرتاض"

ومن النّقاد الذّين شكّل مصطلح التّناص إشكاليّة بارزة لديهم، نذكر "مرتاض"، حيث أنّه لم يصّر على مصطلح التّناص بل ذهب يبحث له عن بديل آخر أكثر دقّة، فاقترح مصطلح(التّكاتب)، وبرّر تفضيله لهذا المصطلح عن مصطح التّناص بأنّ التّناص عام يشمل اللّغة والأسلوب والأفكار، أمّا التّكاتب فإنّه يخصّ تأثّر الكاتب بكتابات أخرى بصرف النّظر عن جنس هذه الكتابة.

ولا يخفى على القارئ قصور هذا المصطلح أن يشمل النصّ بكلّ أبعاده وحدوده، فالمكتوب يشكلّ جزء من تمثّلات النصّ، فقد يكون النصّ مسموعا ومنظورا أيضا.

كما اضطرب مرتاض في ترجمة مصطلح (Intertextualite)، فهو يترجمه مرّة بالتّناص ومرّة بالتّناصية أو بهما معا في نصّ واحد.

أمّا المصطلح الأخير الّذي رشّحه مرتاض لأن يكون بديلا عن التّناص هو مصطلح(المقارءة)، حيث قال: أنّ "القراءة سلوك حضاريّ فكريّ ذهني روحيّ جماليّ ثقافيّ، هي عادة متحضّرة، هي دأب متأصّل،

هي مثاقفة داعيّة، هي ما يمكن أن نطلق عليه في لغتنا الخاصّة(مقارءة) أو هي كما يعبّر عنه بعض الغربيّين(تناص)".

المقارءة في رأينا مصطلح ناقص لا يشمل مفهوم(Intertexte) لأنّ المقارءة تقتضي تداخل ومشاركة مقروء الكاتب مع مكتوبه، وفي الحقيقة ليست القراءة فقط هي الّتي تتداخل مع نصّ الكاتب، فالمسموع والمنظور كذلك هي جزء من ثقافة الكاتب الّتي يمكن أن تتناص مع نصوصه وتظهر بشكل أو بآخر. لهذا كلّه فإنّ مصطلح المقارءة جزء من كلّ.

أخيرا وبعد ملاحظتنا للاضطراب المصطلحيّ الواضح لدى "مرتاض" بين الاستعمال التّراثي والحداثي، وعدم ثبوته على رأي واحد، مع مجانبته للدّقة في ترجمة المصطلح، في رأينا يعود كلّ ذلك إلى عدّة أسباب، من بينها: التوق إلى الانتصار للمصطلح التّراثيّ أحيانا، وإحيائه ليواكب المستجدّات النّقدية، وأيضا التسرّع والمسارعة في تلقّف المصطلح الغربيّ وترجمته للعربيّة للاستهلاك والتّداول، ومواكبة الحركة النّقدية، وكذلك تدخّل الذّاتية الواضحة في ترجمة المصطلح، وليس أدلّ على ذلك استبدال مرتاض مصطلح التّناص مرّة بالتّكاتب، ومرّة بالمقارءة.

خاتمة:

لو أوكل مصطلح التّناص وغيره من المصطلحات للمجامع اللّغويّة لمحصته وقلّبته على وجوهه حتّى ينضج ثمّ تدفعه للسّاحة النّقدية ليستهلك، لأنّ هذا الاضطراب المصطلحي سبب مباشر في بلبلة المنهج النّقدي وهزّ أركانه، إذ لا ثبوت لمنهج دون ترسانة مصطلحيّة متينة، ولا نتائج مرضيّة وجيّدة دون ضبط قبليّ للمصطلحات المستعملة.

مراجع ومصادر المحاضرة:

-محمّد مفتاح: تحليل الخطاب الشّعري

-عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السّردي

-يوسف وغليسي: إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقدي العربيّ الجديد.

التّطبيق:

يقول مرتاض:

-1/ "فمن الكتّاب من يزعم أنّ ما يكتبه لم يخطر بخلد أحد قبله، ولا فكّر فيه ولا التفت إليه...إنّ كلّ كاتب ناهب من حيث لا يشعر ولا يريد".

-2/ "هو استبدال نصوص سابقة بنصّ حاضر دون قصد".

-3/ "هو الوقوع في حال تجعل المبدع يقتبس أو يضمّن ألفاظا وأفكارا كان التهمها في وقت سابق ما دون وعي صراح بهذا الأخذ الواقع عليه من مجاهل ذاكرته وخفايا وعيه، فمفهوم التّناص يعني ضرورة الإقرار بنسبيّة الإبداع".

-4/ "غير أنّ التّناص المعاصر يحاول في حذلقة مائيّة باديّة أن يزعم للنّاس أنّه غير السّرقة الأدبيّة على الرّغم من أنّه في حقيقته ليس إلاّها...وكلّ ما في الأمر أنّ النّقاد الأقدمين كانوا ربّما دانوا السّرقة الأدبيّة وهو من شأن الأديب الّذي يعوّل عليها تعويلا مفضوحا".

المطلوب:

يحاول الطّالب الوقوف على أبرز القضايا النّقدية(الجزئية) الّتي تحملها المقولات النّقدية .